

متمم عبد الخالق عزيمة وبلوغه

في الدراسات القرآنية

دراسة تحليلية تطبيقية لكتابه :

"دراسات لأسلوب القرآن الكريم"

يقدم

د. محمد أبو الفتح عبد الرحمن

مدرس الدراسات الإسلامية

بكلية التربية - جامعة عين شمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، والصلاة والسلام على صفة خلقه محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين أما بعد .
فإن القرآن الكريم هو المعجزة التي أيد الله بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، والدستور الذي وضعه الله لعباده ، ولقد عرف السابقون واللاحقون من العلماء فضل هذا القرآن على وجودهم ، فأحاطوه بكل عناية ، وخالص اهتمام ، فكان زائداً لهم ، ومنهلاً للعلماء عنى اختلاف مشاربيهم " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم " المائدة / ٥ - ١٦

وشيخنا الأستاذ عزيمة^(١) واحد من هؤلاء العلماء الأجلاء ، الذين عكفوا على

(١) في حديث مع زوجة المؤلف - رحمه الله - أفادتني بأنه قد ولد في يناير ١٩١٠ م في قرية خباطة مركز قطور - طنطا محافظة الغربية ، وقد تخرج من المعهد الديني بطنطا ، والتحق بعدها بالأزهر الشريف حتى حصل على الشهادة العالمية في أبريل ١٩٤٤ م .
عمل بجامعة الأزهر حتى عام ١٩٤٨ م ، ثم عمل بعدها بالمعهد الديني بمكة المكرمة من عام ١٩٤٨ م لمدة ست سنوات ، ثم سافر إلى ليبيا فعمل بها سنتين عاد بعدها إلى أرض الوطن فعمل بجامعة الأزهر سنة واحدة ، ثم طلب بعدها للعمل بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ، واستمر عمله بها أربع عشرة سنة أحيل بعدها إلى المعاش .

والمؤلف - رحمه الله - كثير من المؤلفات العنيدية على رأسها هذا الكتاب :

- دراسات لأسلوب القرآن الكريم .
- التمتضب للمبرد . " تحقيق " .
- فهارس سيويه .
- المغنى في تصريف الأفعال .
- اللباب في النحر والصرف .
- المذكر والذئث وخيرها من الأصول .

وقد حصل المؤلف على جائزة العلوم والنظري في مصر في ١٩٨١ / ٣ / ٣٠ م ، كما أنه قد نال جائزة الملك فيصل العالمية على هذا الكتاب الذي تكشف اللثاب عن أهميته " دراسات لأسلوب القرآن الكريم " وذلك سنة ١٩٨٢ م .

وبعد حياة عامرة تزوج خلالها وأنجب ثمانية من الأبناء منهم ثلاثة من الذكور ، وخمسة من الإناث كلهم أطباء في تخصصات مختلفة عدا واحدة تعمل مهندسة ، وقد بنى - رحمه الله - داراً للشاء في طنرا ، ومسجداً بطنطا ، وتوفي في ١٦ / ١ / ١٩٨٤ م رحمه الله عليه .

القرآن الكريم في محراب العلم ، وظهرت آثار هذه المعاشية في فيض علمهم ، وغزير مؤلفاتهم ، ولا سيما في مثل هذا الكتاب الفريد الذي تقف أمامه في هذا البحث ألا وهو "دراسات لأسلوب القرآن الكريم" .

وهذا الكتاب أمضى فيه صاحبه ثلاثة وثلاثين عاما دأباً ، دون مللٍ أو كللٍ ، بين الدرس والتأليف والطباعة ، حتى رأى هذا الكتاب النور ، وظهر في ثوبه القشيب ، فاستحق مؤلفه - من كل من طالع الكتاب - كلَّ تقدير وإكبار .
والكتاب موسوعة علمية رائعة استمتت مادتها من أساليب القرآن الكريم ، وهو يقع في أحد عشر مجلداً كبيراً ، وتبلغ صفحاته حوالي سبعة آلاف وثلاثمائة وخمس وثلاثين صفحة ، وجعله مؤلفه ثلاثة أقسام كبيرة :

القسم الأول : ويضم المجلدات الثلاثة الأولى :

القسم الثاني : وهو المجلدات من الرابع حتى السابع .

القسم الثالث : وهو من المجلد الثامن حتى الحادي عشر .

وسوف أكتفي في ها المقام بتسليط الضوء على النقاط التالية :

أولاً : أهمية الكتاب ودواعي تأليفه .

ثانياً : محتوى الكتاب .

ثالثاً : مصادر الكتاب .

رابعاً : دفاعه عن القراء .

خامساً : مرقفه من الاحتجاج بالحديث الشريف .

سادساً : مرقفه من المفسرين .

سابعاً : سمات منهجه .

أولاً : أهمية الكتاب ودواعي تأليفه

لقد شعر المؤلف بحاجة العلم إلى إنشاء دراسة شاملة لأسلوب القرآن الكريم ، وقراءاته المختلفة التي تحوى ثروة لغوية ونحوية تفيد الدارس والقارئ بدلاً من هذه الأمثلة النحوية التي درج عليها الباحثون جيلاً بعد جيل ، حتى أصبحت كثران فاسر ، لا تجد له لذة مثوج ولا حرارة ساخن .

وعن دواعي تأليف هذا الكتاب ، والغاية منه يقول مؤلفه : " ولو أراد دارس النحو أن يهتكم إلى أسلوب القرآن وقراءاته في كل ما يعرض له من قوانين النحو والصرف ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ؛ ذلك لأن الشعر قد استبد بجهد النحاة ، فركنوا إليه ، وعولوا عليه ، بل جاوز كثير منهم حده ، فنسب اللحن إلى القراء الأئمة ، ورماهم بأنهم لا يدرون ما العربية !

وكان تعويل النحويين على الشعر ثغرة نفذ منها الطاعنون عليهم ؛ لأن الشعر روى بروايات مختلفة ، كما أنه موضع ضرورة . لهذا مست الحاجة إلى إنشاء دراسة شاملة لأسلوب القرآن الكريم في جميع رواياته ؛ إنفى هذه القراءات ثروة لغوية ونحوية جديرة بالدرس ، وفيها دفاع عن النحو ، تعضد قواعده ، وتدعم شواهد " راجع ٢ / ١ .

ومما يبرز أهمية الكتاب ، وكونه عملاً علمياً دون الجهد والطاقة ، وما يميزه عن عمل الأقدمين ما يقوله الشيخ محمود شاكر في تصديره للقسم الأول من الكتاب إذ يقول : " ويظن أستاذنا الشيخ عضيمة أن الأوائل قد شغلهم الشعر عن النظر في شواهد القرآن العظيم ، وأظن أن الذي تولاه أستاذنا من حصره هذه الأشياء في القرآن العظيم ، وتزليلها منازلها من أبواب علم النحو ، وعلم الصرف ، وعلم أساليب اللغة مقدمة فائقة الدلالة ليعمل آخر ينبغي أن تتولاه جماعة منظمة في حصرها في الشعر الخاهلي والإسلامي من حروف المعاني ، ومن تصاريف اللغة ، ومن اختلاف الأساليب ودلالاتها ، والذي ظن الأستاذ أن التقدم قد فرغوا همهم لها ، هو نى الحقيقة ناقص يحتاج إلى تمام ، وتمامه أن يهين الله للناس من يقوم لهم في الشعر بمثل ما قام به هو في القرآن العظيم ، وإذا تم هذا كما أتم الشيخ عمله في القرآن العظيم ، فعسى أن يكون قد حان الحين للنظر في " إعجاز القرآن " نظراً جديداً لا يتيسر للناس إلا بعد أن يتم تحليل اللغة تحليلاً دقيقاً قائماً على حصر الوجوه المختلفة لكل حرف من حروف المعاني

وتصريف اللغة ؛ لأن هذه الحروف ، وهذه التصاريف تؤثر فى المعانى ، وتؤثر فى الأساليب ، وتحدد الفروق الدقيقة بين عبارة وعبارة ، وأثرها فى النفس الإنسانية ، وأثر النفس الإنسانية فيها وفى دلالتها " تنظر : القسم الأول - صفحة هـ ، و .

وهذه الأمنية التى يطمح إليها الشيخ شاكر أصبحت تمثل ضرورة كبيرة ، بل يجب أن تتحول إلى واقع ملموس ، فكما فعل الشيخ عزيمة - بمفرده - فى هذا الكتاب يجب أن يتجه الباحثون المخلصون لدراسة اللغة والشعر الجاهلى والإسلامى سيرا على هذا المنهج الذى انتهجه الشيخ عزيمة فى كتابه ، وحينها سيظهر بوضوح لئون آخر من الإعجاز القرآنى الذى يقوم على التحليل والمقارنة بين أساليب القرآن الكريم وغيره من الأساليب اللغوية والشعر العربى .

ولا شك أن هذه الدراسة التى لم يسبق إليها ، وقد قامت على استقراء أسلوب القرآن الكريم ، وقراءاته المختلفة ، مما أثمرى الدراسات النحوية ، وجعلت الدارس يحتكم إلى أى أسلوب من الأساليب ، وهل ورد فى كتاب الله أم لا ؟ يقول عزيمة : "وما من شك فى أن هذه الدراسات قد أثرت الدراسات النحوية إثراء عظيما ، وحفلت بالكثير من الطرائف والفرائد والفوائد ، وما ذاك إلا لكثرة المراجع التى اعتمدت عليها وتتوعها . لم أقتصر على كتب النحو وحدها ، ولا على كتب الإعراب وحدها ، ولا على كتب التفسير وحدها ، وإنما شملت القراءات كثيرا من الكتب المختلفة ، كما ارتكزت هذه الدراسات على استقراء أسلوب القرآن وقراءاته المتنوعة . وقد استهدفت أن أنقل دارس النحو والصرف من الأمثلة المحدودة ، والشواهد المحصورة التى صارت (أكشيهات) تنقل من كتاب إلى كتاب ، أردت أن أنقله إلى المجال الأرحب والأفسح ، مجال القرآن الكريم وقراءاته .

لقد كان يتعذر على دارس النحو والصرف أن يحتكم إلى أسلوب القرآن وقراءاته فى كل ما يتعرض له من قوانين النحو والصرف ، فيسرت له هذه الدراسات هذا الاحتكام ، فيستطيع أن يعرف متى أراد: أورد مثل هذا الأسلوب فى القرآن أم لا ؟ وإذا كان فى القرآن فهل جاء كثيرا أو قليلا وفى قراءات متواترة أو شاذة ؟

وفى هذه الدراسات أيضا دفاع عن النحو ، فما أكثر ما رمى النحويون بأنهم سرقوا النحو اللاتينى ، أو الإغريقى ، أو السريانى ، وأنهم وضعوا الحركات الإعرابية وأبتدعوها ، فبينت هذه الدراسات أن القواعد التى وضعها النحويون تتمثل فى أسلوب

القرآن الكريم وقراءاته ، وبذلك تبرا ساحة النحويين من هذا الاتهام الغاشم للظالم " ٥٧٩ / ١١ - ٥٨٠

ومما يزيد الكتاب أهمية ، أنه قد تخطى بكثير ما وقفت عنده المعاجم القرآنية^(١)، التي كان أقصى ما وصلت إليه هو حصر الألفاظ الخاصة بالأفعال وبعض الأسماء ، وإحصاء الآيات التي تمثلها ، أما عن الحروف والضمائر ، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، وبعض الظروف ، فإنها لم تكن بها ، ولم يرد لها ذكر . كما أن هذه المؤلفات في فهرسة ألفاظ القرآن ، لم ترد الأفعال ، والأسماء بها مرتبة ترتيب أبواب النحو والصرف ، مما يعوق النفع بها ، فجاء هذا الكتاب شافيا كافيا .

ويوضح المؤلف ما يميز كتابه عن غيره من هذه الكتب ، والفروق الواضحة التي يلمسها القارئ بينهما فيقول : " وجدت المصنفين الذين عرضوا لفهرسة ألفاظ القرآن قد تناهت جهودهم عند حصر ألفاظ القرآن ، وبعض الأسماء ، وإحصاء آياتها ، وتركوا هذا الإحصاء في الحروف ، والضمائر ، والأسماء الموصولة ، وبعض الظروف الكثيرة الذكر كإذ وإذا .

بدأت بإحصاء حروف المعاني ، وجمع آياتها ، كذلك فعلت في كل ما أغفلت جمعه هذه الكتب :

١ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فواد عبد الباقي رحمه الله .

٢ - المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته للأستاذ محمد فارس بركات .

٣ - فتح الرحمن لطالب آيات القرآن لفيض الله العلمي .

٤ - مفاتيح كنوز القرآن .

نظرت في الكتب التي عثيت بإعراب القرآن وأهمها: للبحر المحيط لأبي حيان، والكشاف للزمخشري ، وإملاء ما من به الرحمن للعكبري ، والبيان للأنباري ، وحاشية النجمل وغيرها . لخصت ما فيها من أعراب ، ورتبتها ترتيب أبواب النحو والصرف

.....

(١) على رأس هذه المعاجم : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم الذي وضعه محمد فواد عبد الباقي وقد ظهر في عديد من طبعاته في مجلد واحد ، وغيره من المعاجم القرآنية التي ستأتي إشارة المؤلف إليها بعد قليل .

قرأت كتب القراءات السبعية والعشرية والشواذ وأضفت إليها ما ضمه (البحر المحيط) من القراءات وتوجيهها ، ولخصت ما فى هذه الكتب ، ورتبته ترتيب أبواب النحو والصرف

رأيت أن الكتب المصنفة فى فهرسة ألفاظ القرآن لا يتأتى النفع بها إلا إذا رتبت ألفاظ القرآن ترتيب أبواب النحو والصرف ، فالباحث مثلا عن المصادر فى القرآن لا يستطيع أن يقع عليها فى هذه الكتب إلا إذا قرأها ، فإذا أراد البحث عن المشتقات ، أو الأبنية ، أو صيغ الزوائد والأفعال كان عليه أن يقرأها مرات ومرات وهكذا دواليك . لذلك قمت بترتيب ألفاظ المصحف ترتيب أبواب النحو والصرف ، فجمعت فى كل باب ألفاظه القرآنية ، وبهذا يسهل الوقوف على الآيات عن طريق هذه الألفاظ ، " ١ / ٢ - ٤

ومن هنا يتضح مدى أهمية الكتاب ، والباحث على تأليفه ، وقيمه كموسوعة علمية قرآنية ، لم يتوان صاحبها فى التسلح لها ، والصبر على تأليفها ، حتى حان قطافها ، وأنت أكلها بإذن ربها .

ثانيا : محتوى الكتاب

يتكون الكتاب - كما سبقت الإشارة - من ثلاثة أقسام كبيرة تشكل أحد عشر جزءا وها هى محتويات كل قسم بإيجاز :

القسم الأول :

المجلد الأول :

وقد درس فيه المؤلف (إذا) فى القرآن الكريم ، ثم انتقل إلى دراسة (إن) و (أم) و (أن) و (إن وأن) و (إن) الشرطية و (أو) و (أى) و (أين) و (إيان) و (أينما) الشرطية و (أى) .

المجلد الثانى :

ودرس فيه (الباء) فى القرآن الكريم ، ثم دراسة (بل) و (بلى) و (تاء القسم) و (ثم) و (حاشا) و (حتى) و (رب) و (السين وسوف) و (عن) و (غير) و (القاء العاطفة) و (فاء السببية) و (فى) و (قد) و (الكاف) و (كلن) و (كآين) و (كل) و (كلما) و (كلا) و (كم) و (كيف) و (كى) و

(للام) و (لا الناهية) و (لا الناقية للجنس) و (لات) و (لا) للزائدة و (لكن)
 و (لعل) و (لم) و (لما الجازمة) و (لما الحيلية) و (لن) و (لو) و (لولا)
 الامتناعية و (لولا) التحضيضية و (ليت) .

المجلد الثالث :

وتناول دراسة (ما) و (متى) و (من) وصلة بقية الأسماء الموصولة ، و
 (من-) الشرطية و (مهما) ودراسة الحمل على اللفظ وعلى المعنى ، ودراسة (من)
 وتثني في حروف الجر واستعمال حروف الجر بعضها مكان بعض ، ودراسة نون
 التوكيد وأفعال الأمر ، ودراسة (نعم) و (هل) و (ولو القسم) و (ولو المفعول
 معه وواو العطف وواو الاستئناف والواو للزائدة) وأحكام عطف النسق ، وواو الحال ،
 ودراسة (يا) في القرآن الكريم .

القسم الثامن :

المجلد الرابع :

وتضمن بنية الاسم الثلاثي والرباعي ، والمقصور والممدود ، والإعلال
 والإبدال ، والقلب المكاني ، والإلحاق ، وصيغة (أفعل) ، و (فاعل) و (فاعل) و
 (افتعل) و (تفعل) و (لعل) ، و (لفعال) ، و (تفعال) و (استفعال) ، ودراسة
 الفعل المضارع .

المجلد الخامس :

وفيه دراسة لباب (نصر وضرب) ، والمضارع والأمر من باب (فتح) ،
 ودراسة الفعل المضارع ، ودراسة الفعل المثال والأجوف والناقص ، ودراسة اللفظ
 المقرون ، وأبنية الاسم الثلاثي ، ودراسة بنية الاسم الرباعي للمجرد ، ومزيج الثلاثي
 من الأسماء ، والرباعي والخماسي ، وتخفيف الأسماء الثلاثية وتقرعاتها ، والمعرب ،
 ودراسة المصادر .

المجلد السادس :

وفيه بقية المصادر ، ثم دراسة اسم المكان والزمان ، واسم الآلة ، واسم الفاعل
 والمفعول .

المجلد السابع :

ودرس فيه المؤلف صيغ المبالغة ، والصفة المشبهة وأفعال التفضيل ، ودراسة المقصور والممدود ، ودراسة المثنى وجمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم ، ودراسة الجمع (أفعال) ودراسة التصغير ، والنسب ، وتخفيف الهمزة ، والتخلص من الساكنين ، والإعلال والإبدال .

القسم الثالث :

المجلد الثامن :

وفيه محاضرة أسماها المؤلف : (مع أساليب القرآن) ، ثم انتقل إلى دراسة بسكين المعرب من الأفعال والأسماء فى الوصل فى القراءات القرآنية ، ودراسة الضمائر ، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، ودراسة العلم ، والمبتدأ والخبر ، وكان وأخواتها ، وأفعال المقاربة ودراسة الفاعل ، ونائب الفاعل .

المجلد التاسع :

وتناول دراسة باب الاشتغال ، والتنازع ، ودراسة المفعول المطلق ، والمفعول به ، ودراسة ظن وأخواتها ، والمفعول لأجله ، والظروف .

المجلد العاشر :

وفيه دراسة الحال ، والتمييز ، والعدد ، والمنادى ، والقسم ، والإضافة ، ونعم ، وبش ، والنعت .

المجلد الأخير :

وفيه دراسة التوكيد ، وعطف النسق ، والبذل ، وأسماء الأفعال ، والممنوع من التصرف ، والتذكير والتأنيث ، وحذف القول ، والجعل التى لا محل لها من الإعراب ، والجمل المستأنفة ، وجواب الطلب ، وتتابع الإضافات ، وفعل التعجب ، ثم اختتم المؤلف كتابه بالفهارس العامة وفهرس القبائل و الأعلام .

ثالثاً : مصادر الكتاب

تقد أحاط المؤلف كتابه بحشد كبير من المراجع والمصادر التى ظهرت آثارها جليلة فى إفادة القارئ ، وتزويده بكثير من الفوائد والطرائف . ولم يقتصر المؤلف على جانب واحد من المراجع ، بل تنقل بين العديد من المصادر المختلفة روعن هذه

الأهمية يقول المؤلف : " وما من شك في أن هذه الدراسات قد أثرت الدراسات النحوية إثراء عظيما ، وحفلت بالكثير من الطرائف والفرائد والفوائد ، وما ذلك إلا لكثرة المراجع التي اعتمدت عليها وتنوعها . لم أقتصر على كتب النحو وحدها ، ولا على كتب الإعراب وحدها ، ولا على كتب التفسير وحدها ، وإنما شملت القراءات كثيرا من الكتب المختلفة " ١١ / ٥٧٩

وهذا الحشد الهائل من المراجع الذي استفاد منه المؤلف وضمينه كتابه لم يرد له ذكر في فهرس الكتاب ، ولم يعمد المؤلف إلى تصنيفه أو إدراجه في ثبوت المراجع كما هو معهود في المؤلفات المختلفة ، ومن خلال قراءتي للكتاب استطعت الوقوف على هذا الكم المتنوع من المراجع التي لا يتسع المجال للإشارة إليها كاملة ، ولا إلى مواطن وجودها وتوظيف المؤلف لها ، ولكن الذي يمكن توضيحه هنا بيان مدى تنوع المصادر التي استقى منها المؤلف ثقافته وضمن بعضها كتابه ، وسأكتفي بتصنيف هذه المصادر المتنوعة ، وأذكر طائفة منها من خلال هذا التصنيف :

١ - مصادر من كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم :

- البحر المحيط لأبي حيان .
- الكشاف للزمخشري .
- تفسير القرطبي .
- تفسير أبي السعود .
- تفسير النهر لأبي حيان .
- تفسير الرازي .
- تفسير ابن عطية .
- تفسير البغوي .
- تفسير الخازن .
- تفسير الجلالين .
- تفسير البيضاوي .
- البرهان في علوم القرآن للزركشي .
- الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي .

٢ - مصادر من كتب الحديث والفقه :

- صحيح مسلم .
- صحيح البخاري .
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير .
- الإحكام للأمدى .
- المستصفي للغزالي .

٣ - كتب فهرسة ألفاظ القرآن الكريم :

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي - رحمه الله - .

- المرشد إلى آيات القرآن وكلماته للأستاذ محمد فارس بركات .
- فتح الرحمن لطالب آيات القرآن لقيض الله العلمي .
- مفتاح كنوز القرآن .
- مصباح الإخوان لتحريات القرآن لجامعه الحافظ يحيى حلمى بن حسين قسطنونى .

٤ - كتب القراءات السبعية والحشرية والشواذ :

- شرح الشاطبية لابن القاصح .
- غيث النفع فى القراءات السبع .
- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى .
- إتحاف فضلاء البشر للبناء .
- المحتسب لابن جنى .
- شواذ القرآن لابن خالويه .
- ما ضمه البحر المحيط من القراءات وتوجيهها .

٥ - كتب حروف المعاني :

أشار المؤلف إلى العديد من الكتب التى غنيت بحروف المعانى ، ووقف عليها فى كتب التراجم ، ثم حدد لنا ما عثر عليه بالفعل ووصل إلينا ، واستفاد منه المؤلف ، وهذه الكتب هى :

- كتاب الحروف للكسائى ت ١٨٠ هـ .
 - كتاب الحروف للمبرد ت ٢٨٦ هـ .
 - حروف المعانى لأبى عبد الله بن جعفر التميمى المعروف بالقزاز ت ٤١٢ هـ .
 - الحروف لأبى على الفارسى ت ٣٧٧ هـ .
 - معانى الحروف لعلى بن عيسى الرمانى ت ٣٨٤ هـ .
 - شرح معانى الحروف والأدوات لأحمد بن محمد أبى الفضل الميدانى النيسابورى ت ٥١٨ هـ .
 - رصف المعانى فى حروف المعانى لأبى جعفر الملقب ت ٧٠٢ هـ .
 - الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى ت ٧٤٩ هـ .
 - معنى اللبيب لابن هشام ت ٧٦١ هـ .
 - معنى الحروف والأدوات لابن القيم ت ٧٥١ هـ .
 - جواهر الأدب فى معرفة كلام العرب للإربلى ت ٦٣١ هـ .
- لما الكتب الموجودة بالفعل واستفاد منها المؤلف من هذه الكتب فهو :
- رصف للمبلى فى حروف المعانى ، للملقى ت ٧٠٢ هـ .

- الجنى الدانى فى حروف المعانى ، للمزادى ت ٧٤٩ هـ .
- معنى اليبب لابن هشام ت ٧٦١ هـ .
- جواهر الألب للإربلى ، ت ٦٣١ هـ .

٦ - كتب إعراب القرآن الكريم :

- إعراب القرآن للحوفى .
- إعراب القرآن للنحاس .
- إعراب القرآن المنسوب للزجاج .
- إعراب القرآن لأبى حيان .
- إعراب القرآن للمعبرى .

للأنبارى

- إعراب القرآن للحوفى .
- إعراب القرآن للنحاس .
- إعراب القرآن المنسوب للزجاج .
- إعراب القرآن لأبى حيان .
- إعراب القرآن للمعبرى .
- إعراب القرآن المنسوب للزجاج .

٧ - كتب التراجم والتاريخ والسيره :

- وفیات الأعیان لابن خلكان .
- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى .
- معجم الأديباء لياقوت .
- نهاية الأرب فى تاريخ العرب .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة للقنطى .
- الأشباه والنظائر .
- سيرة ابن هشام .

٨ - من كتب المعاجم :

- لسان العرب لابن منظور .
- مفردات الراغب .
- مقاييس اللغة لابن فارس .
- المخصص لابن سيدة .
- القاموس المحيط .

٩ - مصادر من كتب الأدب والبلاغة :

- العقد الفريد لابن عبد ربه .
- مذهب الأغنى للتميمى .
- رسالة الغفران للمعرى .
- شرح بانث سعاد .
- شرح المفضليات .
- نهاية الأرب لأبى أنبنة .
- الإشاره إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام .
- البيان والتبين للجاحظ .
- شرح أدب الكاتب للجوالقى .
- خزانه الألب للبغدادى .
- جواهر الألب للإربلى .
- الموشح للمرزبانى .
- نهج البلاغة .

وهذه الكوكبة الهائلة من المراجع الأصلية قد أظهرت الكتاب بصورته الموسوعية المدعومة بالوثائق والآراء السديدة .

وأيها : دفاعه عن القراء

تضمنت كتب النحو واللغة والتفسير وغيرها نصوصا كثيرة فى الطعن على الأئمة القراء ، الذين توارثت قراءاتهم فى السبع ، والذين ارتضت الأمة الإسلامية قراءاتهم فركنوا إليها ، وعولوا عليها ، ونسوا أن العربية هى التى تصحح بالقراءة وليس العكس ، وأن العربية هى التى تتبع القراءة ، ومن هنا تسلح المؤلف للدفاع عن القراء ، وخاصة ضد هذه الاتهامات جولة دافع فيها عن سلامة القراءات ، وأنها ماثورة عن خير الخلق أجمعين ، وأفصح العرب قاطبة ، وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أصحابه رضى الله عنهم ، ومن بعدهم ، وأخذ يضرب العديد من الأمثلة على صحة ما يذهب إليه . راجع ١ / ١٩ وما بعدها .

لتجه المؤلف بعد ذلك إلى النحويين يفند آراءهم ، ويكشف ضعف ما اعتمدوا عليه فى تلحين القراء ، ثم يرد عليهم بالأدلة القاطعة ، وللبراهين الساطعة .

ولقد اعتمد النحاة فى تلحين القراء على أشياء ذكرها المؤلف فى النقاط التالية :

- ١ - احتكامهم إلى ما وضعوه من قواعد وسنوه من قولتين .
- ٢ - خفاء توجيه القراءة على بعض النحويين ، ولذا يسارعون إلى تلحينها .
- ٣ - النظر إلى الشائع من اللغات ، والغفلة عن غيره .

ثم يضرب الأمثلة على كل سبب من هذه الأسباب ، ثم يدافع دفاعا شديدا ، ويرد على النحويين وغيرهم ، ويسوق فى رده ودفاعه أقوال العلماء . ونضرب على ذلك بعض الأمثلة من أقوال العلماء التى ساقها المؤلف ، واحتج بها على رد أقوال النحاة فى تلحين القراء ، ومن هذه الأمثلة قوله : " فى غير النفع ٤٩ - ٥٠ (القراءة لا تتبع العربية ، بل العربية تتبع القراءة ، لأنها مسموعة من أفصح العرب بإجماع ، وهو نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم ، ومن أصحابه ، ومن بعدهم) " .
وقال ابن الحاجب فى شرح المفصل : " والأولى الرد على النحويين ، فليس قولهم بعبء عند الإجماع ، ومن القراء جماعة من النحويين ، فلا يكون إجماع النحويين حجة مع مخالفة القراء لهم ، ولو قدر أن القراء ليس فيهم نحوى ، فإتباعهم ناطلون لهذه اللغة ،

وهم مشاركون النحويين في نقل اللغة ، فلا يكون إجماع النحويين حجة دونهم ، وإذا ثبت ذلك كان المصير إلى قول القراء أولى لأنهم ناقلون عن ثبوت عصمته عن الغلط في مثله ، ولأن القراءة ثبتت متواترة ، وما نقله النحويون أحاد ، ثم لو سلم أنه ليس بمتواتر فالقراء أعدل وأثبت ، فكان الرجوع إليهم أولى " لطائف الإشارات للقسطلاني .
راجع كتاب المؤلف ١ / ٢٧

ومما ساقه من آراء العلماء لتبرئة ساحة القراء من اتهام النحويين قول الفخر الرازي - رحمه الله - إذ يقول : " أنا شديد للعجب من هؤلاء النحويين إذا وجد أحدهم بيتا من الشعر ، ولو كان قائله مجهولا يجعله ذليلا على صحة القراءة وفرح به ، ولو جعل ورود القراءة ذليلا على صحته كان أولى " ١ / ٢٧ .

وقال صاحب الانتصاف : " ليس القصد تصحيح القراءة بالعربية بل تصحيح العربية بالقراءة " وقال النضر بن شميل : " إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤية ، فهلا جاز أن يحتج بقوله الحسن وصاحبه " .

وقال أبو حيان في البحر ٧ / ٢٦١ " القراءة سنة متبعة ، ويوجد فيها الفصيح والأفصح ، وكل ذلك من تيسيره تعالى القرآن للذكر " .

وليست هذه كل الأقوال التي ساقها المؤلف ، بل ساق كثيرا من الأقوال مثلنا ببعضها ، وساق أدلة أخرى من أقوال العلماء مثل ابن عطية وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم ، ودافع دفاعا هادئا مشفوعا بالأدلة ليصل إلى هدفه المنشود ، وهو تبرئة القراء والقراءات من تجني النحويين وغيرهم ، والإشارة بأصابع الاتهام إلى هذه القراءات سواء المتواترة أو غيرها . راجع ١ / ٢٥ وما بعدها .

ثم نراه يكون أكثر تخصيصا فيذكر أنه من خلال ما جمعه عن تلحين القراء تبين له أن أكثر القراء الذين لحنهم النحويون هو ابن عامر وحمزة ، وينتجى للدفاع عنهما ، ويسوق الأدلة من أقوال العلماء كأبي حيان ، وابن جنى وغيرهم . راجع ١ / ٣٠ - ٣٣

ومن الدقة المتناهية في دفاعه عن القراء أنه قدم للقارئ إحصاء دقيقا بنصيب كل قارئ من القراء السبعة في تلحين قراءته بدءا بابن عامر ١١٨ هـ ، ثم ينكر المواضع التي يلحنونه فيها ، ومن أنكر قراءته ، وهذه إحصائية موجزة بأسماء القراء ، وعند المواضع التي تمثل نصيبه من اللحن المنسوب إليه تصوغها في الجدول الآتي :

م	القراء السبعة	عدد مواضع اللحن في قراءاتهم
١	ابن عامر ت ١١٨ هـ	ثمانية عشر موضعا
٢	ابن كثير ت ١٢٠ هـ	تسعة مواضع
٣	أبو عمرو بن العلاء ت ١٥٤ هـ	سبعة مواضع
٤	نافع ت ١٦٩ هـ	اثنا عشر موضعا
٥	عاصم ت ١٢٧ هـ	سبعة مواضع
٦	الكسائي ت ١٨٠ هـ	أحد عشر موضعا
٧	حمزة ت ١٥٠ هـ	خمسة عشر موضعا

راجع بالتفصيل هذه المواضع / ١ - ٣٤ - ٤٣

ثم ذكر المؤلف بالأدلة الطوائف التي لحن القراء ، وجعلها مرتبة كالتالي :

١ - من الصحابة والتابعين ، وذكر ابن عباس ، والسيدة عائشة رضى الله عنها وشريح القاضي .

٢ - ومن النحويين القراء : أبو عمرو بن العلاء ، والكسائي .

٣ - ومن النحويين : سيويه ، وأبو الحسن الأخفش ، والقراء ، وأبو عثمان المازني ، وأبو عباس المبرد ، وأبو اسحاق الزجاج ، وأبو جعفر النحاس ، وأبو علي الفارسي ، وأبو الفتح بن جني ، والنزمخشري ، وكمال الدين الأنباري ، وأبو البقاء العكبري .

٤ - ومن اللغويين : الأصمعي ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو حاتم السجستاني ، وابن قتيبة ، وابن خالويه ، والجوهري صاحب الصحاح .

٥ - ومن المفسرين : ابن جرير الطبري ، وابن عطية .

٦ - ومن مصنفي القراءات والقراء : أبو بكر بن مجاهد ، وعاصم الجعدي ، وهارون .

راجع بالتفصيل هذه المواضع ومضارها / ١ - ٤٤ - ٩١

.....

خامسا : موقفه من الاحتجاج بالحديث الشريف

إلى جانب الاحتجاج بنصوص القرآن الكريم وأقوال المفسرين ، فإن المؤلف لم يغفل الاحتجاج ببعض نصوص الحديث الشريف في دراسته للأساليب القرآنية ، بالحديث هو أقوال النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ، وهو أعلى النصوص فصاحة بعد القرآن الكريم ، ولذا فقد مست الحاجة إلى تقديم نصوصه والاحتجاج بها .

ومما يلاحظ على احتجاج المؤلف بالحديث الشريف ما يلي :

- ١ - عدم الإسراف في الاحتجاج بالحديث فهو لا يذكر حديثا إلا للضرورة .
- ٢ - لا يحتج المؤلف إلا بالأحاديث الصحيحة التي يتشهد بها في دراسته للأساليب .
- ٣ - يكتفى المؤلف - أحيانا - بذكر الحديث مجردا عن السند حتى لا يتزيد مكثفا بموضع الاستشهاد فحسب فيحذف السند ، ويحذف بقية الحديث ومثال ذلك ما ذكره في مبحث (كل المضافة إلى المعرفة) يقول المؤلف : " في صحيح البخاري : (كلُّ أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى) " ثم يترك القارئ دون تزويده بموضع الحديث من الصحاح فيقول : الحديث في البخاري - كتاب الأدب - باب ستر المؤمن على نفسه - رواه أبو هريرة . راجع ٢ / ٣٥٤
- ٤ - أحيانا أخرى لا يشير إلى راوى الحديث ، ويذكر الحديث كاملا ، ثم يشير إلى مصدره فيقول مثلا : في مبحث (لعل) في القرآن الكريم : " وفي الحديث : (وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) " ويذكر مصدره في النهاية لابن الأثير ٤ / ٥٩ راجع كتاب المؤلف ٢ / ٦٠٢ مبحث (لعل) .
- ٥ - وكما يعنى بذكر السند والمصدر أحيانا ، ففي بعض الأحيان القليلة تفقد ذكره لسند الحديث أو تمامه ، أو مصدره فيقول المؤلف في مبحث (خبر لعل) : " وفي الحديث أيضا : (لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته) " راجع ٢ / ٦٠٦

.....

سابعاً : موقفه من المفسرين

قامت هذه الدراسة الموسوعية على استقراء كامل لآيات القرآن الكريم وحروفه، وكانت مادة هذه الدراسة هي أساليب القرآن ، ولا يستغنى مؤلف هذه مادته عن تفسير القرآن الكريم ومفسريه على اختلاف مناحيهم ، ومن ثم فهو كما يرجع إلى كتب النحو فهو يرجع إلى كتب التفسير ، وحول هذا الشأن يقول المؤلف : " أما في دراسة حروف المعاني فكانت أبداً بقراءة ما ذكره النحويون عن الحرف مبتدئاً بكتاب سيبويه ومنتهاً بإبن هشام ، وأجمع للنصوص ، ثم أرجع إلى كتب التفسير والإعراب في آيات كل حرف آية آية ، وأجمع نصوصها أيضاً ، ثم أنعم النظر في آيات كل حرف ، وما فيه من قراءات ، وأسجل الظواهر اللغوية على ضوء ما جمعته من النصوص " ١ / ٤ - ٥

وقد ورد في الكتاب كثير من كتب التفسير التي استفاد منها المؤلف كتفسير أبي حيان المسمى (البحر المحيط) ، وتفسيره المسمى (النهر) ، وتفسير الزمخشري (الكشاف) ، وتفسير القرطبي ، وأبي السعود ، وابن عطية ، والخازن و الرازي والبيضاوي وغيرها من كتب التفسير ، كما امتلأ تفسيره بكتب إعراب القرآن مثل : كتاب العكبري (إملأ ما من به للرحمن) ، وكتاب (البيان في غريب إعراب القرآن) للأنباري ، وإعراب القرآن للحوفي ، والنحاس ، والزجاج وغيرها .

ولم يكن المؤلف عالماً على آراء المفسرين ، أو مجرد ناقل لها ، بل يناقش ويعارض - في كثير من الأحيان - إذا وجد شططاً يخالف المنطق السليم ، أو الإجماع ، وذلك على خلاف غيره ممن درج على تقديس آراء المفسرين ، وجعلها من المسلمات التي لا تناقش بصرف النظر عن الفرق بين ما هو غث أو ثمين .

ويتضح موقف المؤلف من المفسرين من خلال النقاط التي نوجزها فيما يلي :

١ - أكثر كتب للتفسير وروداً عند المؤلف تفسير أبي حيان (البحر المحيط) ، وتفسير الزمخشري (الكشاف) ، والعكبري (إملأ ما من به للرحمن) ؛ وذلك لأن هذه الكتب لها طابع خاص هو العناية بالإعراب ، ولا غرابة في ذلك إذا قدمها على غيرها ، وليس معنى هذا أنه لا يقدم أقوال غيرها ، فنراه دائماً يحتج بأقوال غيرهم إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، وفي هذه وتلك لا يقبل من أقوالهم إلا ما تصاحبه الصحة والسلامة ، ويرفض ما عدا ذلك بالأدلة الساطعة والمناقشة البازعة وموقفه نمثل لذلك فيما يلي من نقاط .

٢ - لا يسلم المؤلف - كما قلنا - بما ذهب إليه المفسرين تجاه القضايا المختلفة بل يناقش الآراء ، وقد يصل إلى أن يخطئها أحيانا ، ويأتى بما يؤيد ما ذهب إليه من الرأى الصحيح . ومثال ذلك ما ذكره من نقل ابن عطية فى تفسيره من آراء النحاة ، فقد ذكر ذلك عند تعرضه لقوله تعالى : " قل أنذختم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم يقولون على الله ما لا تعلمون " البقرة ٢ / ٨٠ يقول المؤلف : " قال ابن عطية : وذهب كثير من النحويين إلى أن (لم) لا تكون معانلة للألف مع اختلاف الفعلين ، وإنما تكون معانلة إذا دخلت على فعل واحد كقولك : أزيد قام أم عمرو ، وقولك : أقام زيد أم عمرو ، فإذا اختلف الفعلان كهذه الآية فليست معانلة " ثم يقول المؤلف : " هذا الذى ذكره عن كثير من النحويين غير صحيح ، ويقدم دليلا على ما يؤيد المعانلة مع اختلاف الفعلين بقول سيبويه فيقول : " قال سيبويه : وتقول : أضربت زيدا أم قتلته فعادل بأم والألف مع اختلاف الفعلين ... " راجع بالتفصيل مناقشة القضية ١ / ٤٠٢ - ٤٠٣

٣ - وكما يرفض رأى بعض المفسرين إذا حاد عن الحقيقة ، ويميل مع رأى معظم المفسرين الذى هو المنطق والصواب ؛ نراه أيضا فى عرضه للقراءات القرآنية التى وردت فى الأساليب يناقش أصحابها ، ويصحح ، ويرجح ، ومثال ذلك ما ذكره فى مبحث (إعمال ما الحجازية) ويذكر كثيرا من الآيات التى تصلح أن تكون على اللغتين (تميم والحجاز) يقول المؤلف : " قال الشيخ تاج الدين ابن مكتوم فى (تذكرته) : [لم تقع (ما فى القرآن إلا على لغة أهل الحجاز ، ما خلا حرفا واحدا وهو : " وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم " على قراءة حمزة فإنها هنا على لغة تميم] " .

يقول المؤلف : " ذكرنا قبل ثلاث آيات جاءت فيها الجملة الفعلية خبرا لـ (ما)

النافية ، فكيف يقول ابن مكتوم بما يفهم منه أنه ليس فى القرآن من هذا النوع إلا قراءة حمزة ؟

إن قراءة حمزة ، وما ذكرناه من الآيات تصلح أن تكون على اللغتين ، والأولى

حملها على الحجازية لنزول القرآن بها ، وظهور أثرها فى المفرد " راجع القضية

٤ - إذا اختلف رأى الواحد من المفسرين مع أكثر المفسرين ، وكان الصواب فى جانب الكثرة ، فإن المؤلف يرفض ذلك الرأى ويفنده ، ويميل مع الرأى الصائب ؛ وهذا دأبه دائما ، ومثال ذلك ما ذكره فى مبحث (أم) حول قوله تعالى : " أتخذناهم سخريا أم زاجت عنهم الأبصار " ٦٣ / ٣٨ ذكر المؤلف رأى القرطبى فى تفسيره فقال : " وفى القرطبى ٥٦٦٩ / ٧ (إذا قرأت بالاستفهام كانت الهمزة للتسوية ، وإذا قرأت بغير الاستفهام فهى بمعنى (بل)) .

يقول المؤلف : " ليست الهمزة للتسوية ، فهذا تساهل فى التعبير " ثم يقول : " قد جعل للقرطبى (أم) متصلة معادلة الهمزة فى قوله : " أشهدوا خلقهم " وهو بعيد عن المعنى والسياق ، والأولى الوجه الآخر الذى جرى عليه أكثر المفسرين من أنها منقطعة بمعنى همزة الاستفهام الإتكاري ... "

راجع بالتفصيل ١ / ٤٠٥ - ٤٠٨

٥ - فى عرضه للقضايا الخاصة بأساليب القرآن الكريم نراه يعرض مواقف المفسرين عرضا تفصيليا لكل مفسر على حدة مع مناقشة هذه الآراء ومناقشة هادئة وافية هدفها توخى الحقيقة ، وكلما فرغ من آراء مفسر انتقل إلى غيره وهكذا فنراه مثلا يقول : مواقف أبى حيان تجاه قضية معينة ، وبعد الفراغ من عرضها ومناقشتها يقول : مواقف العكبرى ثم أبى السعود والجمل ولا داعى للتمثيل فهى سمة عامة فى معظم الكتاب . راجع على سبيل المثال لا الحصر ٣ / ٢٣٨ - ٢٤٩

٦ - وفى ختام موقفه من المفسرين يجب الإشارة إلى أن المؤلف لا ينقل عن المفسرين نقلا عشوائيا دون دراية وتمحيص ، فنراه يستذكر على أبى حيان - مثلا - فى البحر المحيط ، ويذكر له نصيين متعارضين فيقول فى مبحث (إضافة المصدر) : " ولأبى حيان فى هذا نصان متعارضان : قال فى البحر ٧ / ١٩٩ (إضافة المصدر إلى الفاعل أكثر من إضافته إلى المفعول) وقال فى البحر ٢ / ٣٩٦ (إضافة المصدر إلى المفعول وهو الكثير فى القرآن) فهو قد استنتج بقرائه الواجبة تعارض النصين رغم أن أحدهما فى الجزء الثانى من البحر المحيط ، والآخر فى الجزء السابع منه ، ثم نراه يقول : " تبين لى مما جمعته من إضافة المصدر إلى الفاعل ، ومن إضافته إلى المفعول أن إضافة المصدر إلى الفاعل تزيد عن ضعف إضافته إلى المفعول " راجع ٤ / ٢٧

ولم يصدر هذا الحكم دون إحصاء دقيق ، ولا عمل ينم عن وعى و يقين ، فتراه قد بذل جهدا علميا سبق إصدار حكمه على رأى أبى حيان ، ورفض أحد الحكمين المتعارضين ، وأن إضافة المصدر إلى الفاعل أكثر من إضافته إلى المفعول ، بل تزيد على ضعف إضافتها إلى المفعول يقول : " جمعت آيات إعمال المصدر مرتبا المصادر ترتيبا أبجديا ، ثم جمعت آيات إضافة المصدر إلى الفاعل ، ثم آيات إضافة المصدر إلى المفعول ، ثم الآيات التى يحتمل فيها للمصدر أن يكون مضافا للفاعل وللمفعول مع الترتيب السابق " راجع ٢٨ / ٤

وعلى ذلك فهو يتعامل مع كتب التفسير بعقلية واعية بعيدا عن الذاتية ، وقد التزم الردود الهادئة ، والمناقشات الهادفة التى يبتغى بها وجه الحقيقة والصواب .

ثامنا : سمات منهجه

يطيب لنا فى ختام هذه الجولة مع هذا الكتاب أن نشير إلى الملامح العامة لهذا الكتاب ، أو السمات التى يتسم بها منهج المؤلف فى كتابه ، وتتلخص هذه السمات فى النقاط التالية :

[١] يلتزم المؤلف فى كتابه من أوله إلى آخره منهجا واحدا فى تناوله للأساليب القرآنية المختلفة ، وهذا المنهج أنه يجعل دراسة أى أسلوب على مستويين : الأول يعد موجزا للموضوع لمحات عن دراسة (.....) فى القرآن ، والمستوى الآخر هو الدراسة المفصلة للأسلوب ، ويبرر المؤلف ذلك بقوله : " رأيت أن أقدم أمام دراسة كل حرف صورة واضحة موجزة لعناصر الدراسة التفصيلية ، واخترت لها عنوان : (لمحات عن دراسة) وهذه اللمحات أشبه بما تفعله الإذاعات فى صدر نشراتها الإخبارية من تقديم موجز الأنباء ، وأثرت هذا المنهج لأمرين :

أ - تقريب هذه الدراسة إلى نفوس القراء على اختلاف درجاتهم الثقافية ، وتيسرها لهم ، فمن شاء اكتفى بهذا القدر ، ومن شاء رجع إلى الدراسة التفصيلية .

ب - كفل هذا المنهج لى حرية نقل نصوص فى الدراسة التفصيلية وفى اعتقادي أن البحوث التحوية لن لم تركز على النصوص كانت كلاما إثنائيا أجوف لا غناء فيه ، والوقوف على النصوص فى كتب النحو يحتاج إلى بذل الجهد ، وقد جعلت

- ٨ - لا يجوز أن تتقدم الصلة ولا بعضها على الموصول . المقضب ٣ / ١٩٧ ،
١١٨ وتعليق ١ / ١٣ ، ٢٣ ، ١٦ ، ١٨
- ٩ - يجوز أن تتقدم بعض أجزاء الصلة على بعض ، ويتأخر بعضها عن بعض .
تعليق ١ / ١٣ ، ٢٣
- ١٠ - يجوز الفصل بين الصلة والموصول بالنداء . المقضب ٢ / ٢٩٦
- ١١ - صرح سيوييه بأن الغايات المبنية لا تقع خبرا للمبتدأ قال في ٢ / ٤٤ " ويندك
على أن (قبل) و (بعد) غير متمكنين أنه لا يكون " وقال ابن هشام في
المغنى ٢ / ١٣ : " الغايات لا تقع أخبارا ولا صلوات " وفي الشمسنى
٢ / ٨٦ " بل الصلة هي " وفي البحر ٥ / ٣٣٦ : " للظروف التي غايات
إذا بنيت لا تقع أخبارا للمبتدأ جرت أو لم تجر "
راجع بالتفصيل ٣ / ١٧٨ - ١٧٩

ومن هنا يتضح قدرة المؤلف الفاتحة على العرض الشيق لأبعاد الموضوع ، ثم
الاستنتاجات المشفوعة بأقوال النحاة والمفسرين ومواقع هذه الأقوال وأجزائها
وصفحاتها ، في إيجاز غير مغل ، هذا بالإضافة إلى ما سبق الحديث عنه وهو بداية
الموضوع بذكر موجز له يسميه (لمحات عن) وبذا يكون القارئ أمام موضوع له
مقدمته الموجزه ، وعرضه التحليلي ، ونتائجه التي تجمع فيها شمل ما تفرق في ثنايا
الموضوع .

[٤] الدقة المتناهية في الحصر الذي يقوم على الوعي والإدراك والقصد ، بل أحيانا
كثيره يشير إلى أعداد ضخمة من الآيات والمواقع التي أحصاها حول قضية ما ،
فتراه يقول على سبيل المثال في مبحث (دراسة نون التوكيد في القرآن الكريم) :
أفعال الأمر كثيرة جدا في القرآن ، أحصيت مواضعها فكانت ١٨٤٨ موضعا . جاءت
أفعال الأمر في هذه المواضع غير مؤكده بالنون ، لا في رواية حفص فحسب ، وإنما
جاءت كذلك في جميع القراءات العشرية المتواترة ، كما جاء كذلك في الأربع للشولذ
المشهوره فيما بيننا .

وبذلك خلت القراءات الأربع عشرة من توكيد فعل الأمر بالنون ، وهذه ظاهرة لغوية جديرة بالدرس والتسجيل " راجع ٣ / ٤٤٨ - ٤٤٩
ونظرا لطول الآيات أو أبعاضها طلبا للإيجاز ويقول عن ذلك : " وسأكتفى طلبا للإيجاز بذكر الأفعال وحدها دون بيان مواضعها " ثم يذكر الأفعال
راجع ٣ / ٤٦٥ - ٤٦٨

وهذا يدل على عقلية رياضية منظمة ، ومنهج محكم مقصود ، فهو لا يهدف إلى حشد المعلومات لأننى داع ، ولولا هذا الإحكام لخرج مؤلفه فى أضعاف أضعاف حجمه ، ولا انتفع به خير وجه طالبوه .

[٥] ومن الدقة المتناهية أيضا ما قدمه تجاه الأبنية الصرفية ، والحصر القائم على الاستقراء الدقيق لأساليب القرآن الكريم فنراه مثلا يذكر فى مبحث (أبنية الاسم الرباعى) أن كلمة (برزخ) وردت فى ثلاثة مواضع ، وكلمة (خردل) فى موضعين ، و (سرمد) فى موضعين ، و (رفرى) فى موضع و (صرصر) فى ثلاثة مواضع ، (صفصفا) فى موضع ، وكلمة (الحناجر) جاءت جمعا ، ولم يذكر لها مفرد فى القرآن (حنجرة) ومثال (برثن) جاء (زخرف) فى أربعة مواضع ، و (سندس) فى ثلاثة مواضع ، ومن مضاعف الرباعى (الهدهد) فى موضع و (اللؤلؤ) فى ستة مواضع ، ومن مثال (زبرج) جاء منه ما هو مختوم بالتاء فى كلمتين (شرذمة وسلسلة) .. ثم نراه يقول : " نلاحظ أن ما جاء من أبنية الاسم الرباعى وقع فى النصف الثانى من القرآن سوى كلمة (الزخرف)

راجع ٤ / ٩ - ١١

[٦] ومن خلال استقراءه الواعى يستطيع أن يصدر - فى ثقة - أحكامه بوجود الأساليب أو عدم وجودها فى كتاب الله وعلى سبيل المثال نراه فى الأبنية التى لم يرد لها نكر فى القرآن الكريم لا يذكر أنها غير موجودة فحسب ، بل يبين المتفق عليه من هذه الأبنية بقول عن (أبنية الاسم الخماسى للمجرد) " إنها لم يقع شئ منها فى القرآن لا فى المتواتر ولا فى الشواذ : ثم يذكر الأبنية المتفق عليها ليقف عليها القارئ يقول :

مصدرا ثم قال : وهو أكثر ما حفظ لفعل من المصادر البحر ٣ / ٤١٠) " راجع كتاب المؤلف ٤ / ٢٥ .

[٨] فى إشارته لما ورد فى القراءات المختلفة ينتزم الدقة المتناهية فيقول مثلا فى باب (حسب) : " قرأ أربعة من السبعة وهم : نافع وأبو عمرو وابن كثير والكسائى مضارع (حسب) بمعنى ظن بكسر العين فى المضارع وذلك فى جميع القرآن " ٤ / ٢١

[٩] لا يسلم المؤلف بما أجمع عليه النحاة طالما أنه قد ورد فى القراءات المتواترة ، ومثال ذلك ما ذكره فى (اجتماع الساكنين المغتفر) يقول : " اشترط النحويون لاغتفار اجتماع الساكنين ثلاثة شروط :

- ١ - أن يكون الساكن الأول حرف مد ، ويلحق بالمد ياء التصغير نحو (نويبة) .
- ٢ - أن يكون الساكن الثانى مدغما فى مثله .
- ٣ - أن يكون ذلك فى كلمة واحدة نحو (خَاصَّة) و (ولا الضَّالِّين) .

هكذا اتفقت كلمة النحويين على هذا الأصل ، ثم قالوا : إذا فقد شرط من هذه الشروط امتنع اغتفار اجتماع الساكنين إلا فى الضرائر الشعرية " . ثم يقول المؤلف : " ومثار العجب : كيف يجمع النحويون على أصل ، ثم تأتى القراءات المتواترة مخالفة لهذا الأصل ، ثم يعرض النحويون عنها ، فلا يشيرون إليها ، ولا يهتمون بأمرها . لو كانت المخالفة فى قراءة ، أو قراءتين ، أو ثلاث أو فى عشر لاحتملنا الكلفة فكيف وقد جاوزت القراءات المخالفة المتواترة العشرات ، وقاربت المئات . فى الحق أنى لم أجد نظيرا لهذا فى دراستى " ثم يذكر المؤلف هذه القراءات التى تخالف ما اجتمع عليه النحويون . راجع بالتفصيل ٤ / ٣٧ وما بعدها .

[١٠] من سمات منهجه أنه لا يكرر نفسه ويسوق المعلومات التى سبق إيرادها رغم الحاجة إليها فى أسلوب آخر وموضع آخر ، ولكنه يحيل القارئ إلى موضعها الأول ، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما ذكره عند الحديث عن (خبر كان مع لام الجحود)

فلم ينكر الآيات التي ورد فيها لام الجحود لأنه سبق نكرها من قبل فيقول بعد الحديث عن مذهب البصريين ، ومذهب الكوفيين : انظر الحديث عن لام الجحود وآياتها في القسم الأول / ٢ - ٤٥٦ - ٤٦٢ ، راجع / ٨ ٣٥٤

[١١] لا يهمل المؤلف الشواهد الشعرية في معالجة القضايا النحوية والصرفية ويحيطها بشروح تساعد على توضيح المعنى ، وتجلية الأساليب التي يسوقها من خلال ورودها في القرآن الكريم . ومثال ذلك ما ذكره في (حذف الاسم الموصول) يقول :
" وقالوا في بيت حسان :
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء

إنما المعنى : ومن يمدحه وينصره . وليس الأمر عند أهل النظر كذلك ، ولكنه جعل (من) نكرة ؛ وجعل الفعل وصفا لها ، ثم أقام الثانية الوصف مقام الموصوف ، إذا كان دالا عليه .

وقال الرضى في شرح / ٢ / ٥٧ " وأجاز الكوفيون حذف غير الألف واللام من الموصولات الاسمية : خلافا للبصريين ... ولا وجه لمنع البصريين من حيث القياس ؛ إذ قد يحذف بعض حروف الكلمة ، وإن كانت فاء أو عينا وليس الموصول بألترق منها " / ٨ ١٨٧

[١٢] نظرا لاهتمامه بالقراءات وكونها حجة في صحتها وتواترها وسماعها من أفصح الخلق أجمعين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن المؤلف قد أولاه عناية خاصة ، وما من أسلوب إلا ويختتم الحديث عنه بكل أوجه القراءات المختلفة ، ويبدأ ذلك في معظم الأحيان بالقراءات الشاذة ، وفي كل قسم يحيط القارئ بهالة كبيرة من مراجع القراءات ، وأرقام صفحاتها ، وآراء أصحابها . راجع على سبيل المثال ما ذكره في مبحث (دراسة الأسماء الموصولة) / ٨ / ٢٠٩ - ٢١٢

[١٣] في تناوله للأساليب النحوية والصرفية في القرآن الكريم لا يكتفى بنكر القضايا المتعلقة بورود الأساليب في القرآن الكريم ، بل غالبا ما ينقل المعنى الذي يبين للقارئ معنى الكلمات ، وهذا النقل يكون توضيحا للكلمة ، كما أنه ينتقل من كتاب إلى كتاب :

ما بين كتب التفسير واللغة وغيرها . ومثال ذلك ما ذكره في تناوله لأسلوب (أفعل)
التفضيل وتحت قوله تعالى : " ويوم تقوم الساعة ينلس المجرمون " ١٢ / ٣٠ يوضح
معنى (أبلَس) فينقل من المصادر المختلفة ما نصه : " في الكشاف ٤ / ٤٧٠ الإبلاس :
أى يبقى بائسا ساكنا متحيرا ، يقال : ناظرته فأبلَس ، إذا لم ينبس وينس من أن يحتج ،
ومنه الناقة المبلّاس : التى لا تزغو . وقرئ (يبلَس) بفتح اللام من أبلسه : إذا أسكته .
شجر ٧ / ١٦٥ .

في ابن خالويه ١١٦ " يبلَس المجرمون " على رضى الله عنه والسلمى . وفى
المفردات : الإبلاسُ : الحزنُ المعترض من شكِّه اليأسُ ، يقال : أبلَسَ ، ومنه اشتقَّ
إبليسُ فيما قيل ، ولما كان المبلِسُ كثيرا ما يلتزم السكوت وينسى ما يعنيه قيل : أبلَسَ
فلانٌ : إذا سكت وإذا انقطعت حبيبته ، وأبلسَتِ الناقةُ فهى مبلّاسٌ : إذا لم تزغ لشدة
الضبعة " ٤ / ٢٢٥ - ٢٢٦

وأحيانا أخرى يكون أقل تفصيلا إذا كانت الكلمة لا تحتاج إلى تفصيل فيقول
حول (أنصت) فى قوله تعالى : " وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا " ٧ / ٢٠٤
والإنصات: هو السكوت مع الإصغاء إليه " البحر ٤ / ٤٥٢ راجع كتاب المؤلف ٤ / ٢٣٤
ويغلب عليه الإشارة السريعة إلى معنى الكلمة ، ويكون ذلك فى معظم الأحيان
من كتاب للمفردات للراغب فيقول مثلا فى كلمة (فاصدع) " فى المفردات : الصدعُ
الشقُّ فى الأجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما . يقال صدعته فاصدعه ،
وصدعته فتصدع ، وعنه استعير صدع الأمر أى فصله " راجع ٥ / ١١٨
وقد يكون أشد إجازا فى تعريف الكلمات فيقول " فى كلمة (فامسحوا) فى
المفردات : المَسْحُ : إمْرارٌ لليد على الشئ وإزالة الأثر عنه ، وقد يستعمل فى كل واحد
منهما " ٥ / ١١٩

ومثله: " فى المفردات: الوكز: النطن والدفع والضرب بجميع الكف" راجع ٥ / ٢٢٧

[١٤] لا يلجأ المؤلف إلى الاستطراد والتزيد رغم ضخامة هذا المؤلف ، ونراه يشير
إلى أرقام الآيات دون كتابة الآيات حتى لا يتضخم الموضوع ومثال ذلك ما كتبه فى
دراسة (أن) وتحت عنوان (ما يحتمل تعدد الخبر) قال : " يحتمل أن يكون خبر
(إن) المكسورة الهمزة متعددا على رأى من يجيز ذلك فى : ٢ / ١١٥ ، ١٤٣ ،

١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٩ ، ١٥٥ / ٣ ، ٢٩ / ٥ ، ٨٣ / ٦ ، ١٢٨ ، ١٠٩ / ٧ ، ١٥٣ ، ١٠ / ٨ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٥٢ ، ٦٩ ويذكر الأرقام للآيات .
راجع / ١ - ٥٣١ - ٥٣٢

ويقول : " كسر همزة (إن) في مقام التعليل كثيرا جدا في القرآن ويذكر ما يزيد على أرقام ثلاثمائة آية دون كتابة الآيات . راجع / ١ - ٥٧٠ - ٥٧١

[١٥] وفي ختام هذه السمات نشير إلى أنه يعالج قضاياها التي يستقيها من أساليب القرآن الكريم بالإحاطة الكاملة والشمول لكل جوانب الموضوع سواء النحوية أو الصرفية على حد سواء ، ومثال ذلك ما ذكره في دراسة (إذ) في القرآن الكريم فكتب تحت هذا الموضوع كل ما يتعلق بالأسلوب مثل :

- كونها من الظروف المبنية والدليل على اسميتها .
- وإذ .
- (إذ) بدل من المفعول به .
- (إذ) بدل من (يوم) .
- ما تتعلق به (إذ) .
- تعلق (إذ) بما فيه معنى الفعل .
- تعلق (إذ) بنبا .
- عمل كان الناقصة في الظرف .
- عمل كان في (إذ) راجع بالتفصيل / ١ - ١٠٧ - ١٥٣

ومثال آخر لإحاطته بالجوانب الصرفية لأي موضوع أيضا ما ذكره في دراسته للفعل المضاعف يناقش العديد من القضايا مثل :

- لمحات عن دراسة الفعل المضاعف .
- الفعل المضاعف (الماضي وحده) .
- باب (نَصَرَ) من المضاعف .
- باب (ضَرَبَ) من المضاعف .
- باب (عَلِمَ) من المضاعف .
- باب (أَعْلَمَ) من المضاعف .
- باب (فَعَلَ) من المضاعف .
- باب (فَعَّلَ) من المضاعف .

..... راجع بالتفصيل / ٥ - ١٧٠ - ٢٢٤

وبعد

فلا نملك في نهاية جولتنا مع هذه الموسوعة العلمية إلا أن نشيد بأهميتها في خدمة الدراسات القرآنية والنحوية وغيرها ، وما أخرجنا إلى مثل هؤلاء العلماء المخلصين الذين بذلوا الجهد والوقت خدمة لكتاب الله العزيز ، وكشفا لأسراره مصطاته للبشرية إلى يوم الدين .

وعلى رجال التفسير والمعنيين به من العلماء والباحثين الاستفادة من هذا الجهد الضخم الذي بذله المؤلف في كتابه ، وإيجاد قنوات اتصال بين الأساليب القرآنية وغيرها من أساليب اللغة وفنونها ، والشعر العربي تنقيبا عن ألوان جديدة من الإعجاز القرآني .

والله أسأل أن يثيب مؤلف هذا العمل خيرا ، وأن ينفع به طلاب المعرفة إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

د . محمد إبراهيم عبد الرحمن

كلية التربية - جامعة عين شمس

من المراجع

- القرآن الكريم .
- الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - نشر مكتبة التراث - القاهرة - بدون تاريخ .
- البرهان في علوم القرآن للزركشى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - نشر دار المعرفة - بيروت - بدون تاريخ .
- البحر المحيط لأبي حيان . نشر دار الفكر - بيروت - ١٩٧٨ م .
- تفسير أبي السعود - نشر مكتبة الرياض الحديثة - بدون تاريخ .
- للجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤ نشر دار الشام - بيروت - بدون تاريخ .
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم - نشر دار الحديث بالقاهرة .
- صحيح البخاري بحاشية السندی - القاهرة - بدون تاريخ .
- صحيح مسلم - نشر دار التحرير بالقاهرة ١٣٢٩ هـ .
- كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد - بتحقيق د/ شوقي ضيف . نشر دار المعارف - بدون تاريخ .
- الكتاب لسبيويه - بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - نشر الخاتجي بالقاهرة ١٩٧٧ م
- الكشف للمخشي - دار المعرفة - بيروت - بدون تاريخ .
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - نشر دار الدعوة استانبول ١٩٨٦ م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - وضع محمد فؤاد عبد الباقي - نشر مكتبة التراث الاسلامي - بدون تاريخ .
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها لابن جنى - بتحقيق د/ عبد الحليم النجار وآخرين - نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٨٦ م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الغرناطي - نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - الجزء الأول و الثاني .
- للمزهر للسيوطي - بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين - نشر دار التراث بالقاهرة .
- مفاتيح الغيب للرازي - نشر دار المعرفة بيروت - بدون تاريخ .

* من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس - نشر مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة السادسة - ١٩٧٨ م .

* النشر في القراءات العشر لابن الجزري - نشر المكتبة التجارية بمصر ومكتبة المثنى ببغداد - بدون تاريخ .

* النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير - نشر دار إحياء الكتب العربية - بدون تاريخ .
